السماع عند العيني (ت٨٥٥هـ) في كتابه (فرائد القلائد في مختصر شَرْح الشَّواهد)

أ.م.د جاسم محمد سلمان

الباحث حقي إسماعيل إبراهيم

الجامعة العـــراقية/ كلية الآداب

Al-Sama' According to Al-Aini (D. 855 AH) in His Book (Fara'id Al-Qala'id fi Mukhtasar Sharh Al-Shawahid)

Assistant Professor

Jassim Mohammed Salman (Ph.D.)

dr.qassim78@gmail.com

The researcher Hakki Ismai Ibrahim

Hhaakkii1989@gmail.com

Al- Iraqia University/ College of Arts

المستخلص

يهدف البحث إلى التعريف بموقف العيني من السماع في كتابه (فرائد القلائد)، إذ إنَّ السماع ركنٌ من أركانِ أصول النحو الثابتة، بُنيت عليه القواعدُ النحوية العامة، وذلك باستدلال العلماء بهِ، إذ عدّوهُ واحدًا من أهم الأصول الرئيسة المتبعّة، وعليه ترتكز اللغة بعلومها كافة.

وهو القالب الأصوليّ للمفردات المستعملة في النحو الذي يُمكن بواسطته الوصول إلى نتائج واسعةِ المدى، ومعرفة ظواهر اللغة التي سمع بها، وهذا ما دأبَ فيهِ العلماءُ من حيث الاستدلال والاستنباط، فقد أعملوا السماع في مسائلهم النحوية وبرهنوا على أنّهُ أَصلٌ مهمٌ في بناء القواعد. وهو الأصل الاوّل من هذه الأصول المعتمدة في استنباط القواعد والأحكام النحوية واللغوية إلى جانب القياس والإجماع واستصحاب الحال.

الكلمات المفتاحية: (السماع، العيني، فرائد، مختصر)

Abstract

To sum up, listen is one of the pillars of the foundations of grammar, as the general grammatical rules were named after it by the scholars' inference with it, as they considered it one of the most important basic principles followed, and on it the language is based on all its sciences, and it is the fundamental form of the vocabulary used in the grammar through which wide-ranging results can be reached. And knowledge of the phenomena of the language to which it is hearing. This is what scholars have been doing in terms of inference and deduction. They made hearing in their grammatical issues and proved that it is an important principle in constructing grammar.

Keywords: (hearing, kind, faraed, abbreviated)

المطلب الأول

تعريف السماع لغة واصطلاحًا

السماع لغة:

ذكر الخليل: "سمع: السَّمْعُ: الأُذُن، وهي المِسْمَعَةُ، والمسمعة خرقها، والسَّمْعُ ما وقر فيها من شيء يسمعه"(١).

صرَّح إسماعيل بن حماد الحوهري (ت: ٣٩٣هـ) بأنَّ: "(سمع) السَمْعُ: سَمْعُ الإنسان، يكون واحداً وجمعاً كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾(٢)؛ لأنَّه في الأصل مصدرُ قولك: سمعت الشيء سمعا وسماعا"(٣).

قال ابن فارس: "السين والميم والعين أصلٌ واحدٌ، وهو إيناسُ الشيء بالأذُنِ، من الناس وكلّ ذي أُذُنٍ. تقولُ: سمعت الشيءَ سمعاً . والسمَّعُ: الذَّكرُ الجَميلُ . يقال قد ذهب سِمْعُهُ في الناس، أَي: صيتُهُ. ويقالُ سَمَاع بمعنى اسْتمِعْ. ويقال سمعتُ بالشيء إذا أَشعتُهُ ليتكلَّم به"(٤).

ذَكرَ ابن منظور ما نصَّه: "السَّماعُ، كُلُّهُ: الذَّكرُ المسموع الحسن الجميلُ، والسماعُ: ما سمعتَ به فشاع وتكلم به، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع، والسماع: الغناء"(٥).

وقال الزَّبيدي: "السَّمعُ حِسُّ الأذُنِ، وهي قُوةٍ فيها، بها تدرك الأصوات، وفي التنزيل العزيز: ﴿أَوَ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾"(٦)، قال ثعلب: "أي: خَلا لهُ فلم يشتغل بغيره، يُعبَّر تارَة بالسَّمع عن الأذُن، نحو قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾(٧)، كما في المفردات السمع أيضًا: "اسمُ ما وَقَرَ فيها من شيءٍ تسمعُه، كما في اللسان"(٨).

السماع اصطلاحًا:

سمّاه أبو البركات الأنباري (النقل): حيث قال: "الكلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة"(٩).

وقال السيوطي هو: "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيّه ﷺ، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أنْ فسدت الألسنة بكثرة المولّدين نظمًا ونثرًا عن مسلم أو كافر، فهذه ثلاثة أنواع لا بدّ في كلّ منها من الثّبوت"(١٠).

وقال الجرجاني: "هو ما لم تذكر فيه قاعدة كلية مشتملة على جزئياته"(١١).

المطلب الثاني

أهمِّيَّة السماع عند العلماء

لقد تعدَّدت أسماء هذا الأصل عند العلماء لما له من أهمِّيَّة كبيرة في ضبط ألفاظ اللغة العربية وتحصينها من الاضمحلال اللغوي والألفاظ الغريبة والدخيلة عليها، وقد أطلق أبو البركات الانباري على السماع (النقل) وابن بابشاذ (النص) وأَمّا ابن جني والسيوطي واليزدي سمَّوه (السَّماع) ولذلك يعدُ السماع الأصل الأول من أصول النحو العربي عند علماء العربية لما له من أهمِّيَّة كبيرة في عملية إثبات الحكم على الحجَّة، حيث قال أبو البركات الانباري: "وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل، والارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع(١٢) الاطلاع على الدليل، فإنَّ المخلد إلى التقليد لا يعرف وجه الخطأ من الصواب، ولا ينفك في أكثر الأمر عن عوارض الشك والارتياب"(١٣).

وأَكَّده السيوطي في كتابه (الاقتراح) وذهب إلى أنَّ السماع له أهمِّيَّة كبيرة في عملية الاستدلال بالمستند بقوله: "وكل من الإجماع والقياس لابدّ له من مستند من السماع

كما هما في الفقه كذلك، ودونها الاستقراء والاستحسان وعدم النظير، وعدم الدليل المعقود لها[١٤].

وكذلك أكَّدت الدكتورة خديجة الحديثي (رحمها الله) أهمِّيَّة السماع في ضبط ومعرفة خصائص العربية بقولها: "إنّ السماع هو الأساس الأوَّل الذي دوَّنت بموجبه اللغة؛ لأنَّهُ الطريق الطبيعي إلى تعرُّف كُنه اللغة وتبين خصائصها وهو أقرب سبيل إلى ضبط العربية ومعرفة المستعمل منها؛ لأنَّ اللغات في أصلها ثقيلة وأساس معرفتها ومعرفة خصائصها السماع الذي اعتمد فيها جميعاً من أجل أنَّه أخصر طريق إلى حصرها ومعرفة استعمالها[١٥].

المطلب الثالث

أهمِّيَّة السماع عند العيني

يعدُ السماع عند العيني الأصل الأول من الأصول النحوية في كتابه (فرائد القلائد)؛ لما له من أهمِّيَّة في المحافظة على اللغة من دخول ألفاظ غريبة عليها مما ينعكس سلباً على القارئ ؛ لذلك اعتنى العيني بالسماع عن طريق الاستشهاد بأنماط وهي:

أولاً: القران الكريم:

يُعَدُّ القرآن الكريم المصدر الأوَّل للعيني في السماع؛ لأنّهُ أفصح الكلام العربي على الإطلاق؛ وهو في مقدِّمَة أنواع الشواهد النحويَّة واللغويَّة، واستشهد به على أوجه عِدَّة منها:

١. تعضيد الشاهد الشعري، من ذلك قال جرير بن عطية[١٦] من الكامل:

"ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَيَّام

قوله: (المنازل) جمع منزل أو منزلة وهي مكان النزول.

و(اللوى) مكان في بني سُلَيم، كان مُعّدًا للحكومة.

و(ذم) فعل أمر، جاز فيه ثلاثة أوجه: الفتح للتخفيف، والكسر للتخلُّص من التقاء الساكنين، والضم للاتّباع.

و(بَعْد) ظرف متعلِّق بمحذوف حال من (المنازل) على تقدير مضاف بين الظرف ومجروره، و(العيش) معطوف على (المنازل)، و(الأيام) بدل أو عطف بيان من أولئك"[١٧].

وعضَّد العيني الشاهد في قوله: (أولئك الأيام) حيث استعمل (أولئك) في غير العقلاء، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[١٨][١٩].

٢. إثبات مسألة نحوية، من ذلك تعليقه على قول الشاعر[٢٠]، من الكامل:

دَامَـــنَّ سَـــعْدُكِ، لَـــو رَحِمْـــتِ مُتَيّمـــاً لَـــولاكِ لَـــم يَـــكُ للصَّـــبابَةِ جانحـــا

إنَّ لولاك، ولولاي، ولولاه، إذا أضمرت الاسم فيه جُرّ، وإذا أظهرت الاسم رُفع، ولذلك أثبت العيني في القياس أنْ يأتي بعد لولا ضمير رفع منفصل، كما في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾[٢١][٢٢].

٣. رد أقوال أحدِ العلماء على مسألة نحويَّة، من ذلك ما ورد تعليقه على قول الشاعر[٢٣] من الخفيف:

يُحشَـــرُ النَّـــاسُ لا بَنِـــينَ وَلا آبـــاءَ إلاَّ وقـــدْ عَنَـــتهُمْ شُـــؤونُ

إنَّ المعنى: يُحشر الناسُ يوم القيامة ولا يكون اهتمام بينهم؛ لأنَّ كُلَّ شخصٍ منهم مُنشَغِلٌ بنفسه لهول الموقف و(إلاَّ) أداة حصر، و(وقد عَنَتهُم شُؤونُ) في محل نصب حال[٢٤].

وهنا أجاز العيني أن تكون (إلاَّ) زائدة و(الواو) حرف زائد لتأكيد الصفة بالموصوف؛ لأنَّ قوله: (عَنَتْهُمْ شُؤونُ) صفة للبنين، وفيه رَدٌّ على قول ابن مالك بأنَّ (إلاّ) لا تقع بين موصوف وصفته، حيث قال العيني: "وقد قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَآ

أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾[٢٥]، إنَّ: ﴿وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ جملة واقعة صفة لـ(قرية)، وتوسط الواو لتوكيد الصفة بالموصوف؛ كما في الحال"[٢٦].

٤. من أجل فنون بلاغيَّة، من ذلك قول عبد الله بن الزبير[٢٧]، من الوافر:

فَـرَدَّ شُـعُورَهُنَّ السُّـودَ بيضًـا وردّ وُجُـوهَهُنَّ البِـيضَ سُـودَا

إنَّهُ غيَّرَهُ وحوَّله من صفة إلى صفة أخرى، مرَّة جعله أسود وأخرى جعله أبيض أي: تبديل بين صفة وأخرى[٢٨].

وذكره العيني حيث قال: "العكس والتبديل؛ وهو أنْ يقدِّم في الكلام جزءًا ثم يؤخره وهو على وجوه: ومنها: أنْ يقع بين متعلِّقي فعلين في جملتين"[٢٩]؛ كقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾[٣٠]، لذلك قَدَّمَ في الجملة الأولى السود على البيض وفي الجملة الثانية أخَّرَهُ عنه.

٥. التمثيل على المعنى اللغوي للألفاظ ومنها لفظة الخيط الواردة في قول الشاعر سواد بن قارب السدوسي[٣١]، من الطويل:

وَكُـنْ لِـي شَـفِيعًا يَـوْمَ لا ذُو شَـفَاعَةٍ بِمُغْـنٍ فَتِـيلاً عَـنْ سَـوَادِ بْـنِ قَـارِبِ

ذكر ابن عقيل معنى فتيلاً هو الخيط الرقيق الَّذي يكون في شقِّ النواة[٣٢]. وأكَّده العيني[٣٣]، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٣٤].

٦. التمثيل على الصيغة الصرفيَّة، من ذلك ما مثَّل بهِ في قول الشاعر[٣٥]، من البسيط:

مَـا الـرَّاحِمُ القَلْـبِ ظَلاَّمًـا وَإِنْ ظُلِمَـا ولا الكَـرِيم بِمَنَّـاعٍ وَإِنْ حُرِمَـا

إنَّ (الراحم) اسم فاعل أضيف إلى فاعله، وفيه خلاف بين العلماء، حيث منع جمهور النحاة إضافته إلى مرفوعه سواء أمن اللبس أم لم يؤمن، وأمَّا الفارسي فقد جوَّزَ إضافته

إلى مرفوعه بشرط أمن اللبس وتبعه ابن مالك، وكذلك جوَّز ابن عصفور وابن أبي الربيع إضافته إلى مرفوعه بشرط حذف منصوبه ولا يذكر في الكلام[٣٦]، وقال العيني: "ليس المراد منه المبالغة"[٣٧]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٣٨].

ثانيًا: القراءات:

للقراءات دور مهم في فهم القران الكريم وتفسيره؛ لأنَّه عن طريق هذه القراءات يَتَّضِحُ ويتَبَيَّنُ الكثير من المعاني التي لا يفهمها القارئ إلاَّ بواسطة القراءات، لذلك تُعَدُّ المصدر الثاني للعيني في السماع؛ لما لها من أهمِّيَّة عظيمة في تفسير المسائل النحويَّة، وجاءت القراءات عند العيني على وجهين هما:

١. تعضيد الشاهد الشعري بالقراءة القرآنية، من ذلك، قال الراعي[٣٩]، من البسيط.

وَمَـــا هَجرتُـــكِ حَتَّـــى قُلْـــتِ مُعلِنَـــةً لا ناقَـــةَ لـــي فـــي هـــذا ولا جَمَـــلُ

حيث تم رفعهما لأنَّ (لا) تكرَّرت وعطفت على ما قبلها، لذلك عملت عمل (ليس) نحو ذلك: لاحولٌ ولا قوَّةٌ إلاَّ باللهِ[٤٠].

وهنا عضّدها العيني، حيث قال: "والشاهد في قوله: (لا ناقَةٌ لي ولا جَمَلُ) حيث عملت (لا) عمل (ليس) لمّا كرّرت ونحوه قوله تعالى: ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾[٤١]، كما في إحدى القراءات[٤٢][٤٣].

٢. إثبات مسألة نحويَّة، من ذلك قول رجل من بني سليم[٤٤] من الوافر:

فَمَـــا آبَاؤُنَـــا بِـــأَمَنَّ مِنْـــهُ عَلَيْنَـــا الـــلاَّءِ هُـــمْ مَهَـــدُوا الْحُجُـــورَا

يرى الفرّاء أنَّ هذه اللغة تُطلق على الرجال والنساء ومنهم من يحذف الياء في الرجال والنساء، فيقول: (هم اللاء عملوا) و(هنَّ اللاءِ عملن)[٤٥].

وهنا تطلق (اللاء) على جماعة الذكور موضع (الذين) والأكثر كونها لجماعة

الإناث[٤٦]، كما أثبت العيني[٤٧] في ذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ﴾[٤٨].

وكذلك حذفت منه الياء، إذ أصله: اللائي، وقد قرئ بهما جميعًا[٤٩].

ثالثًا: الأحاديث والآثار:

تعد الأحاديث والآثار من أهم المصادر النحوية في الفصاحة والبيان لأنها منقولة عن النبي محمد ﷺ الَّذي يمثّل فصاحة العرب، لذلك ازدهرت اللغة العربيَّة في زمنه، وأمَّا من جاء بعد النبي والصحابة فلابد لهم من قواعد نحويَّة تضبط لهم طريق استعمال اللغة في صورتها الدقيقة دون لحن، ومن هؤلاء العلماء الذين اعتنوا بالأحاديث والآثار (العيني) الَّذي يعدّها المصدر الثالث في السماع، وقد تناولها العَيْنِيّ على طرق عدَّة منها:

١. تأييد موطن الشاهد الشعري، من ذلك، قول أبي زبيد[٥٠]، من الخفيف:

مَـنْ يَكِـدْنِي بِسَـيِّئٍ كُنْـتَ مِنْـهُ كَالشَّـجَا بَـيْنَ حَلْقِـهِ وَالْوَرِيـد

أن يكون فعل الشرط مضارعًا أصيلاً مجزوما (يكدني)، وفعل الجواب ماضيًا (كنت) ولو معنى – وهذه أضعف حالة، حتَّى خصَّها بعض النحاة بالضرورة الشعريَّة، ولكن تجوز في النثر مع قلَّتها، فمذهب الجمهور أنَّه لا يجوز إلَّا في الشعر، ومذهب الفرّاء والمصنّف جوازه في الاختيار[٥١]، والعيني أيَّدهما[٥٢] مستدلاً قوله عليه الصلاة والسلام: "مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[٥٣][٥٤].

٢. جعل الحديث شاهدًا رئيسًا، من ذلك قول عبد الله بن رواحة[٥٥]:

والله لـــــــــــوْلاَ اللهُ مـــــــــــا اهْتَـــــــــــدَيْنَا

كان الرسول ﷺ ينشد هذا البيت أثناء حفر الخندق، ولذلك أصبح من ضمن الأحاديث الَّتي ينشدها[٥٦].

٣. رد على أقوال أحد العلماء، من ذلك قول جرير[٥٧]، من الكامل:

وَرَجَــا الأَخيطِــلُ مــن سَــفَاهَةِ رَأيِــهِ مَــــا لـــــم يَكُـــنْ وأبٌ لَـــهُ لِيُنـــالا)

والشاهد في قوله: (مالم يكن وأب) حيث عطف (أبًا) على الضمير المستتر في (يكن) دون فصل[٥٨]، والذي هو اسمها من غير أنْ يؤكّد ذلك الضمير بضمير منفصل، أو أنْ يفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، وهذا ضعيف في الشعر[٥٩]، وردَّ العيني حيث قال: "وهذا ما قالوه، وفيه نظر؛ لأنَّهُ ليس بمضطر إلى رفع (أب) بل يمكنه نصبه على أنَّهُ مفعول معه، وكيف يكون شاذًّا وقد ورد في صحيح البخاري وهو ما رويناه عن علي ﷺ أنَّهُ قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: "كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ"[٦٠]، وروي عن عمر ﷺ: (كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنْ الأَنْصَارِ)"[٦١][٦٢].

٤. التمثيل على معنى لغوي، من ذلك قال الشاعر[٦٣]، من الوافر:

ولسْــتُ برَاجــعٍ مــا فــاتَ مِنِّــي بِلَهْــفَ وَلا بِلَيْــتَ ولا لَــوْ أَنِّــي

فالباء في (بلهف) متعلّقة (براجع) ومجرورها محذوف أصله: (بقولي) و(لهف) منادى سقط منه حرف النداء والأصل: يالهفًا فحذف الألف المنقلبة عن ياء المتكلّم اجتزاء بالفتحة، والمعنى: ولست راجعًا ما فات منّي بقولي: يالهفي، ولا بقولي: يا ليتني فعلته ولا بقولي: إنّي فعلت، والحاصل أنَّ الأمر الَّذي فات لا يعود ولا يُتلافى لا بكلمة التلهف ولا بكلمة التمني ولا بكلمة لو الَّتي تفتح أبوابًا من الشيطان[٦٤].

٥. الترجمة للشعراء، من ذلك قالت قُتيلَة بنت النضر بن الحارث[٦٥]، من الكامل:

مَــا كَــانَ ضُــرَّكَ لَــوْ مَنَنْــتَ وَرُبَّمَــا مَــنَّ الْفَتَــى وَهُــوَ الْمَغِــيظُ الْمُحْنَــقُ

هذا من الأبيات التي عاتبت قُتيلة بنت النضر الرسول ﷺ عندما قتل أباها في يوم بدر، وسبب قتل أبيها، أنَّه كان يقرأ أخبار العجم على العرب، ويقول: محمد يأتيكم بأخبار عاد وثمود وأنا آتيكم بخبر الأكاسرة والقياصرة، لذلك يريد أذى الرسول ﷺ وعندما

سمع الرسول ﷺ هذا البيت من قُتيلة بنت النضر قال: "لو سمعته قبل قتله ما قتلته ولعفوت عنه، ثُمَّ قال: (لا يُقتل قرشي بعد هذا صبرًا)"[٦٦].

ومن العلماء من قال إنَّها أخت النضر بن الحارث ومنهم العيني[٦٧]، وابن هشام، ولكن الصواب أنَّها بنت النضر حيث قال السهيلي: "الصحيح أنَّها بنت النضر لا أخته"[٦٨]، كذلك قال الزبير وغيره، وكذلك وقع في كتاب الدلائل[٦٩].

رابعًا: الشعر:

يُعَدُّ ديوان العرب، وميزان الألفاظ، ومنتهى الحكمة، يأخذون به، لتوثيق ألفاظ النحو العربي وأحكامه، لما له من تأثير كبير في نفوس العرب، وفي المحافظة على قوانين اللغة العربيَّة، بالاحتجاج به، إذ قال الخليل: "بينا كل معنى باحتجاج من القرآن وشواهد من الشعر"[٧٠]، لذلك اعتنى العيني بالشعر وَعَدَّ المصدر الرابع له في السماع، وجاء به على طرق عِدَّةَ منها:

١. نسبة الشاهد إلى قائله، من ذلك قول ابن ميادة الرماح[٧١]:

وَمَلَكتَ مَا بَينَ العِرَاقِ وَيَثْرِبٍ مُلْكًا أَجَارَ لِمُسلِمٍ وَمُعَاهِدِ

نسب العيني هذا البيت إلى صاحبه وهو ابن ميادة، من قصيدة يمدح بها عبد الواحد بن سلمان بن عبد الملك بن مروان والشاهد قوله: (لمسلم)

فإنَّ اللام زائدة للتوكيد و(المعاهد) هو الذي دخل بلاد الإسلام بزمن من الإمام[٧٢].

٢. تكرار الشاهد الشعري، من ذلك قول أبي صخر الهذلي[٧٣]، من الطويل:

وإنِّي لَتَغْرُونِي لِذِكْراكِ هَزَّةٌ كما انتَفَضَ العُصْفُوْرُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

فإنَّ العيني كرَّر هذا البيت الشعري في شواهد حروف الجرّ وشواهد المفعول له وقال: "ذكر مستوفى في شواهد المفعول له أيضًا"[٧٤].

ومعنى (تعروني): تصيبني، و(هزَّة) بفتح الهاء وكسرها: حركة واضطراب، و(انتفض) تحرَّك، (القطر): المطر[٧٥].

والشاهد في (لذكراك) حيث جاءت اللام فيه هنا للتعليل، أي لأجل ذكراك[٧٦].

٣. ذِكْرُ القائل الصحيح للبيت الشعري، من ذلك قول الشاعر[٧٧]، من الكامل:

فَلَثَمْـــتُ فاهـــا، آخِـــذاً بِقُرُونِهـــا شُـــرْبَ النَّزيـــفِ ببَـــرْدِ مَـــاءِ الحَشْـــرَجِ

نُسِبَ البيتُ الى جميل بثينة (الديوان٤١ – ٤٢) وفي (الأغاني ١/ ٧٥) قصّة ذكرها صاحب الأغاني تتعلّق بأبيات منها هذا البيت في ترجمة عمر بن أبي ربيعة تدلُّ على أنَّها له، وهي في ديوانه ٤٨٨[٧٨]، وكذلك يُنسب هذا البيت إلى عبيد بن أوس الطائي[٧٩]، والأصحُّ هو لجميل، حيث قال العيني: "قاله جميل، وهو الأصحُّ مِمَّا قيل: إنَّهُ لعمر بن ابي ربيعة، أو عبيد بن أوس الطائي[٨٠].

٤. الاستشهاد بـ(جزء) من الشاهد الشعري، من ذلك، قول رؤبة[٨١]:

لَوَاحِـــــــقُ الأقْـــــــرَابِ فيهـــــــا كـــــــالمَققْ

والمعنى (المقق): يطلق على الأضلاع التي فيها طول، و(الأقراب): جمع قرب بضمة فسكون وبضمتين: الخاطرة، يريد: أنَّها خماص البطون[٨٢]، والشاهد في قوله: (كالمقق) زيادة الكاف للتوكيد[٨٣].

٥. الاستشهاد بالشاهد الشعري للاستئناس، من ذلك قول منذر بن حسان[٨٤]، من الوافر:

فلـــولا اللهُ والمُهْـــرُ المُفَـــدَّى لَرُحْـــتَ وأنـــت غِرْبـــالُ الإهـــاب

فوضع الغربال موضع مخرق ذي ثقوب عدة[٨٥].

ومعنى المهر: الحصان الفتي، الإهاب: الجلد.

الفاء: حسب ما قبلها، لولا: حرف امتناع لوجود، الله: اسم الجلالة مبتدأ، والمهر، الواو: حرف عطف، المهر: اسم معطوف مرفوع، المفدى: نعت مرفوع، أنت: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، غربال: خبر المبتدأ مرفوع وهو مضاف، الإهاب: مضاف إليه[٨٦].

وغربال الإهاب: حيث أجري فيه الاسم الجامد (غربال) مجرى الاسم المشتق وتضمينه معناه الَّذي جرى عليه وتضمَّن معنى الاشتقاق وإعطائه حكم الصفة المشبَّهة[٨٧].

حيث وقع الاسم الجامد خبرًا، كما أكَّده العيني قال: "والشاهد في (غربال الإهاب) حيث وقع خبرًا وهو جامد، لكنَّه أُوّل بتقدير: وأنت مثقب الجلد، ذكر هذا استئناسًا لوقوع الجامد حالاً، فإنَّ الجملة حال[٨٨].

٦. الاحتجاج بالشاهد الشعري المجهول القائل[٨٩]، من ذلك:

أكْثَــرْتَ فــي العَــذْلِ مُلِحّــاً دائِمــا لا تُكْثِــرَنْ إنِّــي عَسَــيْتُ صــائِما

إنَّ هذا البيت الَّذي ورد في كتاب العيني (فرائد القلائد) مجهول النسبة لم يعلم قائله، كما جاء في كتاب (شرح الكافية الشافية)، بقوله: إنَّ أبا حيان قال: "هذا البيت مجهول لم ينسبه أحد من الشراح إلى قائله، فسقط الاحتجاج به وكذلك قال عبد الواحد في كتابه (بغية الأمل ومنية السائل)"[٩٠]، ولكنَّ العيني احتجَّ به وجعله من الشواهد الشعريَّة، حيث قال "قلت: لو كان الأمر كذلك لسقط الاحتجاج بخمسين بيتًا من كتاب سيبويه لم يعلم قائلها"[٩١]، وقد ندر وقوع خبر (عسى) مفردًا لأنَّ خبرها فعل مضارع[٩٢].

والمعنى: (أكثرت): من الإكثار، (العذل): الملامة، (ملحا): اسم فاعل.

والشاهد في (عسيت صائمًا): حيث وقعت عسى موقع كان فرفع الاسم ونصب الخبر، وجاء بخبرها اسمًا مفردًا، لأنَّ الأصل أن يكون فعلاً مضارعًا[٩٣].

خامسًا: الأمثال وأقوال العرب:

تُعَدُّ الأمثال والأقوال علمًا سماعيًا ينتقل من جيل إلى جيل آخر؛ لما لها من أهمّيَّة كبيرة في الحفاظ على ألفاظ اللغة العربيَّة وأصالتها من اللحن، لذلك اعتنى العيني بالأمثال والأقوال تأكيدًا لأهمّيَّتها، وتطرق إليها بواسطة طرق عدَّة، منها:

١. جعل الشواهد الشعرية أمثالا، من ذلك قول لبيد، من الرمل[٩٤]:

فـإذا جُوزِيـتَ قَرْضـاً فـاجْزِهِ إنّمـا يَجْـزي الفَتَـى لَـيسَ الجَمَـلْ

ويروى: (إذا أقرضتَ)[٩٥]، (وإذا أوليتَ)[٩٦]، والشاهد في (ليس الجمل) فإنَّ (ليس) حرف عطف بمعنى (لا) على مذهب البغداديين تبعًا لابن عصفور، ونقله أبو جعفر النحَّاس، وابن بابشاذ عن الكوفيين، وجرى عليه الناظم في التسهيل، ويخرج المانعون الشاهد كما يلي: ليس: فعل ماضٍ ناقص، والجمل: اسمها، وخبرها محذوف، والتقدير: ليس الجمل جازيًا[٩٧].

٢. جاء بالمثل لتأكيد المسألة النحوية من ذلك، قال الشاعر[٩٨]، من الطويل:

وَمَـا رَاعَنِـي إلا يَسـيرُ بِشُـرْطَةٍ وَعَهْـدِي بَـه قَيْنـاً يَفُـشُّ بِكِيـرِ

والقين: الحداد، والكير: الزق الذي ينفخ فيه الحدَّاد[٩٩].

أجاز هشام وثعلب أن يكون الفاعل جملة نحو: (يُعجبني يقوم زيد)[١٠٠]، والعيني أيَّدهما، قال: "والشاهد في (يسيرُ) برفع الراء، والتقدير فيه: إلاَّ أن يسير و(أنْ) مصدريَّة، أي: وما راعني إلاَّ سيره، فلمَّا حذفت بقي الفعل مرفوعًا، كما في: (وتسمعُ بالمُعيدىَّ)"[١٠١][١٠٢].

٣. التمثيل على كلام العرب(قعدتُ جلوساً)، من ذلك، قول نصيب بن رباح الأكبر[١٠٣]، من الطويل:

أَهابُـكِ إجـلالاً وَمـا بِـكِ قُـدرَةٌ عَلَـيَّ وَلَكِـن مِـلءُ عَـينٍ حَبيبُهـا

والمعنى: إنّي لأهابك وأخافك، لا لاقتدارك عليَّ، ولكن إعظامًا لقدرك، لأنَّ العين تمتلئ بمن تحبُّه فتحصل المهابة للحبيب من شِدَّةِ حُبِّهِ لها[١٠٤].

وقوله: (إجلالاً) مفعول لأجله منصوب لفعل أهابكِ[١٠٥]، وهنا قال الكوفيون: "ناصب الفعل المتقدم عليه لأنه ملاقٍ له في المعنى، وإنْ خالفه في الاشتقاق"[١٠٦]، ومثَّل له العيني في قول العرب بقوله: "وقوله: (إجلالاً) نصب من قبيل قولك: (قعدت جلوسًا)، لأنَّ المعنى (أهابك) أُجِلُّكَ ؛ لأنَّ من هاب أَحَداً فقد أَجلَّهُ، ويجوز أن يكون نصبًا على التعليل، أي: لأجل إجلالك وتعظيمك، وقد قيل: نصب على الحال بمعنى مُجلاً"[١٠٧].

الخاتمة

اتضحّ مما تقدم أَنَّ ما توصل إليه البحث يمكن إجماله على النحو الآتي:

١. إنَّ للسماع أهمية كبيرة في إثبات النحو واللغة: إذ يشكل مساحةً واسعةً فيها، وفي تقعيد القواعد، وفي صناعتها.

٢. إنَّ حدّ العلماء للسماع هو اللبنة الأولى التي وضعت عليها تلك القواعد ورُسّخت بها، وهو التمهيد الذي أثبتوا حجتهم عليه، لمواصلة طريق الاستنباط والاستنتاج الذي أثمرَ ما سعوا إليه.

٣. استدلالهم بالسماع نقطةٌ مضيئةٌ مُسلّطةٌ على اللغة.

٤. إعمالُ السماع عند العيني شكّل حلقة وصلٍ بينهُ وبين مَن سبقهُ، فكان لهُ التأثير المباشر في إتمام عملية النحو وذلك باستقراء هذا الأصل واستنباطه، واتضح ذلك بما أورده من شواهد شعرية كانت كافيةً وافيةً باستدلالهِ، وقد أعطى صورةً واضحةَ المعالم في الاستنتاج، وهذا ما يعكس دوره في إتمام القواعدِ وصناعتها.

٥. إنَّ تضمين الشواهد عند العيني قد عزَّز أهمية السماع، والدليلُ على ذلكَ أنّه أستشهد بالقرآن الكريم، والقراءات، والأحاديث النبوية، والأمثال، وأقوال العرب والشعر.

الحواشي السفلية

(١) العين: ٣٤٨/١.
(٢) سورة البقرة: الآية: ٧.
(٣) الصحاح تاج اللغة باب (سمع): ١٢٣١/٣-١٢٣٢.
(٤) مقاييس اللغة مادة (سمع): ٣/ ١٠٢.
(٥) لسان العرب: ٨/ ١٦٥.
(٦) سورة ق: الآية ٣٧.
(٧) سورة البقرة: الآية ٧.
(٨) تاج العروس من جواهر القاموس: ٢١/ ٢٢٣.
(٩) الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة: ٤٥.
(١٠) الاقتراح في أصول النحو: ٣٩.
(١١) التعريفات: ١/ ١٢١.
(١٢) في الأصل: يفاع، وهو تعريف ظاهر لمن أمعن، ينظر: الاغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة: ٨٠.
(١٣)ينظر: الاغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة: ٨٠، والشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: ١٢٤.
(١٤) الاقتراح في أصول النحو: ٢٢.
(١٥) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه:١٣٤
(١٦) ديوانه: ٤٥٢ (وفيه: الأقوام – مكان – الأيام). وينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ١٨٠/١، وشرح شافية ابن الحاجب، الرضي: ٢/ ٢٤٥.
(١٧) ينظر: شرح الأشموني لألفيَّة ابن مالك: ١/ ١٢، وشرح التصريح على التوضيح: ١/ ١٤٣، وضياء السالك إلى أوضح المسالك: ١/ ١٤٠.
(١٨) سورة الإسراء: من الآية ٣٦.
(١٩) ينظر: فرائد القلائد: ١/ ٢٨٩.

(٢٠) البيت بلا نسبة، ينظر: الجنى الداني: ١٤٣، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٢٩٠/١، ومغني اللبيب: ٤٤٤، وفرائد القلائد: ١٨٥/١، وهمع الهوامع: ٦١٤/٢..

(٢١) سورة سبأ من الآية: ٣١.

(٢٢) ينظر: فرائد القلائد: ١/ ١٨٥.

(٢٣) البيت بلا نسبة، ينظر: أوضح المسالك: ٢/ ١٠-١٢، وشرح شذور الذهب لابن هشام: ١١٠، وفرائد القلائد: ٥٢٨/١، وشرح الأشموني: ٣٣٣/١، وشرح التصريح: ٣٤٢/١.

(٢٤) ينظر: أوضح المسالك: ٢/ ١٠.

(٢٥) سورة الحجر: الآية٤.

(٢٦) فرائد القلائد ١: ٥٢٩.

(٢٧) البيت ينسب إليه، ينظر: البديع في البديع لابن المعتز: ١٢٨، والمنصف للسارق والمسروق منه: ١٥٩، وشرح ديوان الحماسة: ٦٦٤، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٤٢، وفرائد القلائد: ٥٧٥/١.

(٢٨) ينظر: معجم اللغة العربيَّة المعاصرة: ٢/ ٨٧٧.

(٢٩) فرائد القلائد: ١/ ٥٧٥.

(٣٠) سورة يونس: من الآية ٣١.

(٣١) البيت ينسب إليه، ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢/ ٩٤٥، وأوضح المسالك: ١/ ٢٨٢، ومغني اللبيب: ١/ ٥٤٨.

(٣٢) شرح ابن عقيل: ١/ ٣١٠.

(٣٣) ينظر: فرائد القلائد: ١/ ٤٤٤.

(٣٤) سورة الإسراء: من الآية ٧١.

(٣٥) البيت بلا نسبة، ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: ٢/ ٨٧٤، وفرائد القلائد: ١٣٠/٢، وشرح الأشموني: ٢/ ٢٣٠، وهمع الهوامع: ٣/ ٩٠.

(٣٦) ينظر: أوضح المسالك: ٣/ ١٩٧.

(٣٧) ينظر: فرائد القلائد: ٢/ ١٣١.

(٣٨) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٣٩) ديوانه: ١٩٨، وينظر: الكتاب: ٢/ ٢٩٥، يُروى (وما صرمتك)، والأمثال لابن سلام: ٢٧٥، واللمحة في شرح الملحة: ١/ ٤٩٣، وفرائد القلائد: ٥٢٩/١-٥٣٠.

(٤٠) ينظر: اللمع: ٤٤/١، جامع الدروس العربيَّة: ٢/ ٣٣٥.

(٤١) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

(٤٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) نصب بغير تنوين، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين. ينظر: حجة القراءات: ١٤١.

(٤٣) ينظر: فرائد القلائد: ١/ ٥٣٠.

(٤٤) البيت نسب إليه، ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ١٤٥، وفرائد القلائد: ٣٠٣/١، وشرح الأشموني: ١/ ١٣٢.

(٤٥) ينظر: شرح الكافية الشافية: ١/ ٢٥٩.

(٤٦) أوضح المسالك: ١/ ١٥١.

(٤٧) ينظر: فرائد القلائد: ٣٠٣/١.

(٤٨) سورة الطلاق: الآية ٤.

(٤٩) قرأ ابو جعفر بغير مد ولا همز، وقرأ نافع ويعقوب (اللَّائِي) ممدودة مهموزة مختلسة، وليس بعد الهمزة ياء، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف (اللَّائِي) ممدودة مهموزة مشبعة بعد الهمزة ياء، ينظر: المبسوط في القراءات: ٣٥٥.

(٥٠) ديوانه: ٥٢، وفيه (يُرِدْني) مكان (يكدني)، وينظر: المقتضب:٥٩/٢، شرح الكافية الشافية:١٥٨٥/٣، شرح ابن عقيل: ٣٣/٤.

(٥١) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٣/ ١٥٨٥، توضيح المقاصد والمسالك: ٣/ ١٢٧٨، النحو الوافي: ٤/ ٤٧٣.

(٥٢) ينظر: فرائد القلائد: ٢/ ٤٥٥.

(٥٣) صحيح البخاري: ١/ ١٧.

(٥٤) ينظر: فرائد القلائد: ٢/ ٤٥٥.

(٥٥) ديوانه: ١٣٩، وفيه (تالله) مكان (والله)، وينظر: شرح أبيات سيبويه: ٢٧٨/٢، وشرح الكافية الشافية: ٨٩٤/٢، وفرائد القلائد: ٤٧٤/٢، ومعجم القواعد العربيَّة: ٢٦٨.

(٥٦) ينظر: شرح أبيات سيبويه: ٢٧٨/٢، فرائد القلائد: ٤٧٤/٢.

(٥٧) ديوانه: ١/ ٥٧، وينظر: الإنصاف: ٣٨٩/٢، وشرح الكافية الشافية: ١٢٤٥/٣، وفرائد القلائد: ٢٥٤/٢، وهمع الهوامع: ٢٢١/٣.

(٥٨) شرح شذور الذهب للجوجري: ٢/ ٨١٥.

(٥٩) شرح الأشموني: ٢/ ٣٩٣.

(٦٠) صحيح البخاري: ٥/ ٩.

(٦١) صحيح البخاري: ١٣٣/٣.

(٦٢) فرائد القلائد: ٢/ ٢٥٤.

(٦٣) البيت بلا نسبة، ينظر: توضيح المقاصد والمسالك: ٢/ ١٠٨٥، وأوضح المسالك: ٤/ ٣٠، وفرائد القلائد: ٢/٣١٤، وشرح الأشموني: ٣/ ٤٠.

(٦٤) فرائد القلائد: ٢/ ٣١٤، وشرح التصريح: ٢/ ٢٣٣.

(٦٥) البيت يُنسب إليها، ينظر: شرح ديوان الحماسة: ٦٨١، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٥٦/١، والمثل السائد في أدب الكاتب والشاعر: ١٨١/٣، وشرح الكافية الشافية: ٣٠٤/١، والجنى الداني: ١/ ٢٨٨، ومغني اللبيب: ٣٥٠، وفرائد القلائد: ٤٨٩/٢.

(٦٦) ينظر: شرح الكافية الشافية: ١/ ٣٠٤، وشرح التصريح: ٢/ ٤١٦.

(٦٧) ينظر: فرائد القلائد: ٢/ ٤٨٩.

(٦٨) شرح أبيات مغنى اللبيب: ٥/ ٥٣.

(٦٩) الموضع: ٥/ ٥٣.

(٧٠) الجمل في النحو: ٦٣.

(٧١) ديوانه: ١١٢، وينظر: ارتشاف الضرب: ٥/ ٢٣٩٥، والتذييل والتكميل: ٧/ ٢٨، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢٥٩/٢.

(٧٢) ينظر: فرائد القلائد: ١/ ٧٨٨، وشرح شذور الذهب للجوجري: ٢/ ٥٥٠، وشرح التصريح: ١/ ٦٤٣، وجامع الدروس العربية: ٣/ ١٨٤.

(٧٣) شرح أشعار الهذليين: ٢/ ٩٥٧، ورواه السكري إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها، واللمحة في شرح الملحة: ١/ ٢٥١، وشرح الكافية الشافية: ٨٠٣/٢، وفرائد القلائد: ٧٨٨/١.

(٧٤) فرائد القلائد: ١/ ٧٨٨.

(٧٥) اللمحة في شرح الملحة: ٢٥١/١.

(٧٦) ينظر: شرح شذور الذهب للجوجري: ٢/ ٥٥٠.

(٧٧) البيت مختلف في نسبته فهو لعمر بن أبي ربيعة في شرح ديوانه: ٤٨٠ برقم ٣٥٤، وينظر: إصلاح المنطق: ١٥٥، والمحاسن والأضداد: ٣٠٠، والشعر والشعراء: ٤٣٢/١، وشرح ديوان المتنبي للعكبري: ١٠٥/٤، وقيل: إنَّه لجميل بثينة ولم أعثر عليه في ديوانه، ينظر: ظاهرة التقارض في النحو العربي: ٢٧٢/٥٩، وقيل لعبيد بن أوس الطائي ولم أعثر عليه في ديوانه، ينظر: الحماسة البصرية: ١١٤/٢، وقد نسبَّ العَيْنِيّ هذا البيت لجميل بثينة، ينظر: فرائد القلائد: ٧٨٩/١.

(٧٨) ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢/ ٨٠٧.

(٧٩) ينظر: اللمحة في شرح الملحة: ١/ ٢٤٢.

(٨٠) فرائد القلائد: ١/ ٧٨٩.

(٨١) ديوانه: ١٠٦، وينظر: المقتضب: ٤١٨/٤، والأصول في النحو: ٢٩٥/١، وفرائد القلائد: ٧٩٤/١.

(٨٢) ينظر: الأصول في النحو: ٢٩٥/١.

(٨٣) ينظر: جامع الدروس العربيَّة: ٣/ ١٨١.

(٨٤) البيت مختلف في نسبته فهو قيل لحسان بن ثابت ولم أعثر عليه في ديوانه، ينظر: الخصائص: ٢/ ٢٢٣، والممتع الكبير في التصريف: ٥٨، وشرح الكافية الشافية: ١٠٧٤/٢، وقيل: لمنذر بن حسان، ينظر: فرائد القلائد: ٧١٥/١.

(٨٥) ينظر: الخصائص: ٢/ ٢٢٣.

(٨٦) شرح الأشموني: ٢/ ٢٦١.

(٨٧) ينظر: شرح الأشموني: ٢/ ٢٦١، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني: ٣/ ٢٢.

(٨٨) فرائد القلائد: ١/ ٧١٥.

(٨٩) البيت بلا نسبة، ينظر: الخصائص: ١/ ٩٩، والإنصاف: ٤٥١/٢، وفرائد القلائد: ١/ ٤٥٩.

(٩٠) شرح الكافية الشافية: ١/ ٤٥١.

(٩١) فرائد القلائد: ١/ ٤٥٩.

(٩٢) ينظر: الجنى الداني: ٤٦٣.

(٩٣) ينظر: فرائد القلائد: ١/ ٤٦٠، وتوضيح المقاصد والمسالك: ١/ ٥١٥.

(٩٤) ديوانه: ١٤١، وينظر: أوضح المسالك: ٣/ ٣١٨، والحدود في علم النحو: ٤٧٠، وشرح التصريح: ١٥٥/٢.

(٩٥) ينظر: الكتاب: ٣٣٣/٢.

(٩٦) ينظر: المقتضب: ٤/ ٤١٠.

(٩٧) ينظر: أوضح المسالك: ٣/ ٣١٨، وفرائد القلائد ٢/ ٢٦٦، وشرح التصريح: ٢٥٠/١.

(٩٨) البيت بلا نسبة: ينظر: ضرائر الشعر: ٢٦٣، ومغني اللبيب: ٥٥٩، وفرائد القلائد: ٤٣٢/٢، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٥٨٠/٨.

(٩٩) الخصائص: ٢/ ٤٣٦.

(١٠٠) ينظر: مغني اللبيب: ٥٥٩.

(١٠١) جمهرة الامثال: ٢٥٥/١.

(١٠٢) ينظر: فرائد القلائد: ٢/ ٤٣٢.

(١٠٣) ديوانه: ٦٨، وينظر: شرح الكافية الشافية: ٥٧/١، وأوضح المسالك: ١/ ٢١٢، وشرح ابن عقيل: ١/ ٢٤١.

(١٠٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٢٤١.

(١٠٥) ينظر: شرح الأشموني: ١/ ٢٠٣.

(١٠٦) اللمحة في شرح الملحة: ١/ ٣٦١.

(١٠٧) فرائد القلائد: ١/ ٣٧٢.